المرأة المسلمة والتربية

L'éducation de la femme musulmane.

لاريب فى ان المرأة ادرى من الرجل فى التفكير فى المستقبل ؛ وليس المراد بها المرأة العديمة التربية والعلم ، التى يكون منها دثور البيت لاتعميره ومنبع التعاسة والشقاء فى الاولاد لاسعادتهم ، بل نريد بها المرأة الادبية صاحبة التربية الحسنة ذات الاخلاق الفاضلة فهذه هى التى يجدر بها الالتفات ، هذه هى التى تستحق ان تحل فى قلب الرجل ؛ واما اذا كانت عديمة الاداب والمعرفة منحطة عن مكانة الشرف والانسانية فليست هى متممة وظيفتها النسائية ولهذا اذا رأينا عدم اعتناء الرجل بالمرأة الجاهلة وعدم استشارته اياها فذلك لما كسبت يداها .

وعليه كل امرأة ارادت ان تحفظ وظيفتها النسائية يجب عليها درس العلوم والاداب (قال نبى الاسلام) العلم فريضة على (كل مسلم ومسلمة) ويجب انتباه الابوين الى ذلك لان الشئ الذى يحيط قدر ابنتهما عن حائق ليس الا الجهل .

ان التهذيب والتربية الصحيحة من الامور الضرورية للأم لان عليها قوام البيت وتربية نشئها الصغار فالمرأة العارية من الاخلاق الجميلة والتربية الحسنة كيف يمكنها ان تربى نشأها وهم صغار قابلون لان يتخلقوا باخلاق كثيرة وادنى سجية يعتادها ترسخ فى اطباعه فاذا كان الولد يحفظ خصالاً رديئة وتربية فاسدة وقد نشأ وبلغ (درجة الرجولية) ، فلا يمكن ان تجتث تلك من اصولها وتزول عنه فاذا ترك والحالة هذه ونشأ على تلك الاخلاق الفاسدة والطباع المنحطة يفسد بفساده الكون فنتج ان تعليم المرأة امر ضرورى اكثر من تعليم الرجل .

المرأة العاقلة هى الحارس الامين على الاولاد ومن الواجب اعتبارها كثيراً لان على ركبتيها تربية العالم ، وعليها مدار الكون فالاب هو عضو القوة والعمل ونائب الاسرة (العائلة) ورئيسها فعلى الاب ان يقيدها فى الامور الخارجية ويجتهد على حفظها وعزها واما المرأة فوظيفتها : المثابرة على الامور الداخلية وغرس الآداب والسلام فى قلوب من يحيط بها ويحوم حولها .

ان الرجل بقطع النظر عن المرأة غير كامل، كما ان المرأة ناقصة بدون الرجل ولا يكمل كل واحد منهما الا اذا اجتمعا ويتقلد كل منهما وظيفته المنوطة به بدون اختلاس وظيفة الاخر .

ان البارئ قد اعطى كلا منهما خصائص ومميزات وبنى لكل جسماً يوافق استعمال وظيفته: اعطى الرجل القوة والحماسة والجسارة والاقدام والثبات والوقار والاشغال الطبيعية الشاقة واعطى المرأة اللطف وحركة الافكار والاحساس الدقيق السريع والشعور الحي والحياء وقواها على الاعمال البيتية. فسعادة الرجل والمرأة ان يشغل كل منهما حيزه بدون اختلاس في الوظائف وتبادل في الاعمال واذا تبادلا الاعمال والاشغال يحصل الاضطراب ويضمحل البناء ويخرب البيت وهذه كلها من النتائج اللازمة لتلك المقدمة وها انا امثل لك ذلك :

ان الرجل لو أعطي الحياء والمرأة اعطيت الجسارة فماذا يحدث في بيتهما؟ قلنا لاشك انه يتلاشى.

فآداب النساء هي عيوب للرجال نوعاً ما. فعلى المرأة ان تحفظ هذه المواهب وتمشي على سننها فالمرأة الاديبة الكاملة ليست هي الصامتة التي لا تبدي كلاماً قط؛ انما المرأة الاديبة من كان حديثها بغاية العذوبة والرقة والظرف ومع ذلك لا يمكننا ان نقف على « الحقيقة » بالاختبار الشخصي او الشفاهي اذ ليس الاختبار وحده علامة راهنة لمعرفة الاداب فيها بل ان اكبر علامة راهنة تكشف لنا الحقيقة فيها هي خصال اسرتها (عائلتها) وخصوصاً الوالدة فان اخلاق الاباء تتصل بالبنين ـ واما الاداب فانها امر وراثي اذ تنتقل من الاباء الى البنين .

ان الذين لهم عيال وليس لهم روابط قوية تربطهم بالاداب المحكمة هم اقرب الى الرذائل منهم الى الفضائل فلذلك يجب ان نتفكر بمستقبل هذه العائلة واول فكر يخطر بهذا الخصوص هو الخطوة الاولى في الحياة وفي السير الى المجد والشرف والارتقاء فالرجل الذي يفتكر في عائلته رجل شريف والعائلة التي تهتم بفردها عائلة شريفة ومن سلب هذه الحالة فان الشرف بوادٍ وهو بواد .

نحن لا نبحث عن مبنى العائلة اللغوي بتاتاً فهي جماعة صغيرة تتألف من والد ووالدة من بنين وبنات فلاجل ان يكون لها شيء يبقى ان تكون الرابطة قوية

ينبغي ان نتذكر دائماً فنبث فيها التربية الصحيحة (ينبغي لكتابنا وعلمائنا ومدرسينا) ان يأتوا بالاساليب المهذبة للعائلات لتصلح في المستقبل تربية النشء الجديد وعلى الاخص البنات (والقرآن المجيد) يتكفل ببيان هذا المعنى فانه « يوصي بالوالدين احساناً وبالبنين تربية حسنة».

ان اعظم شيء فيما اظن يقوي روابط العائلات هو التذكر انه لا يليق بالحي الان يكون عضواً نافعاً غير مهمل فمتى اعتقد المرء هكذا بنفسه تذكر انه يجب عليه ان يصلح مالديه من ولد وزوجة ليجعلهم نافعين صالحين فاذا اكثرنا النصح والتأليف والكتابة بهذا الصدد يكون مستقبلنا احسن من ماضينا لان ماضينا غير محمود، ماضي الجهل، ماضي لعب الاطفال بالازقة والطرق، ماضي جهل البنات بتدبير المنزل، ماضي جهل الوالدين بحفظ صحة الابناء .

اما المستقبل فيكون خيراً بفضل تقوية هذه الروابط واحب ان اذكر ان هذه الروابط لما كثرت في (امة الانكليز) كانت من الرقي والحياة بمكان لم يتمن اشعب امة ان ينال مثله فالامة الانكليزية هي على ما تعلمون في سير حثيث الى الامام فانظروا كيف يجب ان تتعلم البنات، كيف يجب ان يتهذبن؛ ولكن يجب ان يحدد تعليم البنات، لان الكلمة مطلقة المعنى فينبغي ان لا ترسل ارسالاً بل تحدد تحديداً .

بناتنا يجب ان يتعلمن تدبير المنزل، يجب ان يتعلمن القواعد العربية والتاريخ، يجب ان يكن ضليعات في اللغات الاجنبية، فانها تساعد على التربية الصحيحة والاخلاق الفاضلة وتعين على التبصر في الحقيقة .

ان التعلم رابطة طبيعية اذا اهملناها اهملنا انفسنا واذا اتممناها نكون قد اخذنا لها قوة تدفع بها كيد من يريد كيدنا، فلو فككت هذه الرابطة وجعلتها في بعد عنك اصبحت كالعدم بالنسبة اليها وانت وكل احد يعلم مقدار ضعف الانسان واحتياجه الى التعليم والتهذيب. فمن تذكر ضعفه ونقصه علم قيمة التهذيب والتعليم.

لا ينبغي ان نلقي سمعاً للذين يقولون « ان بقاء الاولاد وعلى الاخص البنات على هذه الحالة هي خير وابقى » لا ينبغي ان نلتفت اليه بل ينبغي ان نلقي سمعاً الى من يقول ان بقاء البنات على ما هن عليه الان ، عثرة في سبيل تقدمهن وارتقائهن، عثرة في

سبيل مصالحهن وتثقيف عقولهن، عثرة في سبيل كل ما يرفعهن الى مكانة الارتقاء.

كيف هؤلاء يقولون ان هذا التعليم مانع من الترقي؛ وياليتهم يأتوننا بمثال يصح ان يقال انه مانع من الارتقاء.

لماذا ينقم البسطاء السذج على البنات المتهذبات تهذيبهن؟ لماذا يسوؤهم ذلك؟ ولاى شيء ينكرون عليهن التعليم واكثر ما حوته الاماكن والاقطار من البنات عالمات ومتعلمات وليس بينها الا بعض الاقطار الفاسدة، العديمة التربية، الساقطة الاخلاق، المنحطة الطباع، التي نبذت التعليم ظهرياً وحرمته على البنات بتاتاً.

ان هذه الاحلام والوساوس ناشئة من الضعف الاخلاقي، ناشئة عن ضعف في التربية، من نقص في العلم؛ لانه لو من قلة شعور واحساس ولا اغلو اذا قلت انها ناشئة عن عدم تدين كيف وقد سبق ما تكفله (القرآن المجيد) والسير النبوية.

لا يعرف هؤلاء المتشدقون من تاريخ الاسلام شيئاً، هؤلاء نسوا ان للاسلام تاريخاً وعلوماً يضمن هذه المعاني ويكفل هذه الروح لو درسوا حقيقتها حادوا عن تلك الجادة المستقيمة.

نحن لا نقول ان العلم وحده هو العلاج لهذا الداء لانا نأتي بكلام غير صريح ولا يؤيده العقل؛ اذن فلنعمل على التربية مع العلم وان ما نراه من سقوط العائلات وضعف الروابط منشأه فقد العمل مع العلم ليس الا، منشأه عدم الاهتداء الى الطريق الواضحة، طريق الخير والصلاح، طريق السعادة والنجاح.

اذا عرفت ان سقوط البنت وعدم الالتفات الى ما يصلحها ويرفعها الى مكانة الشرف ويجلسها على كرسي السعادة هو سقوط عائلتها فلا شك بك تعرف ان الاداب والعيوب وراثية تنتقل بالوراثة. فالابنة الاصيلة تكون دائماً ذات حسب وشرف نفس فهي محمودة الفعال بحيث اذا كانت تريد ان تفعل منكراً ترى يداً غير منظورة تمنعها عن فعله. وكذلك تنظر الى امثالها فترى انهن لم يفعلن ما كانت من معة ان تفعله فتقتدي بهن والاقتداء بفعل المعروف يساعد على ترك المنكر وكذلك خوفها من ان احداً من اهلها يقف على حقيقة امرها فيسوؤها ذلك وقد يكون فعلها المنكر ضرراً محضاً يقع على رأسها.

فكل هذه اسباب تمنع الابنة الاصيلة عن فعل القبيح وتساعدها على حفظ

شرفها وحياتها فتتحمل من الرجل السيئ الطباع والخلق مايصدر منه ولاتبدي في ذلك كلاماً لمن يجاورها.

ونريد بالابنة الاصيلة من تربت ونشأت في حجر عائلة لم يسمع عنها قط امر قبيح ولسنا نريد بها الشريفة النبيلة لانا نشاهد احيانا ان بعض العائلات وان كان منسوبا اليهم الشرف قد يفعلون افعالاً غير لائقة بشرفهم كما نرى من الاغنياء من لايربون تربية حسنة.

اذن لايدخل الشرف والغنى في التربية، بل الشرف والغنى في الاداب اذ بدون الاداب ينحط الشرف ويتلاشى الغنى والحاصل ان خصال العائلة هي الامر العظيم وان أهم عضو رئيسي في العائلة الذي يقتضي له الاعتبار والالتفات هو الام لانها تنقل عيوبها الى الاولاد بسهولة اكثر من الرجل لشدة اتصالها بهم وممازجتها اياهم سيما وهم في دور الطفولية التي يكون فيها المخ طرياً فتترسم فيه العيوب بسرعة والام توصل عيوبها الى ابنتها اكثر من الولد لان اكثر حياتهما معاً فكما ان الام تورث ابنتها الحياة تورثها ايضاً الخصال.

ومن المتحقق ان الوداعة والتعقل وجميع الخصال الحميدة تبرز من عائلات مخصوصة كما ان قلة الادب والشقاوة والرذالة والنذالة وجميع الخصال القبيحة تصدر من عائلات مخصوصة ايضا ولاسيما من عائلة الام لان العرب تقول (ولد الخال يشبه العم والخال) وفي المثل العامي (تلتين الولد من خاله)

انا كثيراً مانشاهد ان الرجل اذا احب الاقتران بزوجة فان اول ماينظر اليه هو الجمال الذي هو حسن صورة اعضاء الجسم وتقاطيعه سيما الوجه بحيث يكون كل منها في غاية الظرف بالنسبة الى الذوق البشري في الهيئة البشرية وهذا الجمال يميل اليه الانسان ميلاً طبيعياً لان من خواصه حب الجمال. والحاصل ان للجمال شاناً خطيراً مودعاً في قلب الانسان.

اما العاري منه فلا يحوم حوله طائر الغرام. فيا ايها السامع تأمل واحكم واقرأ واعجب ومثل نفسك كانها في رياض تفتحت ازهارها، وتنوعت اثمارها، واينعت اغصانها واشجارها، وغرد قمريها وهزارها فاختالت لديك حسناء ممشوقة القوام، مدورة المحيا، باسمة الثغر، دعجاء العينين، قوسية الحاجبين، دجوجية الشعر أوهى

كالتي قال فيها واصفها :

لها مقلة كحلا وخد مورد ... كان اباها الظبي او امها ما

فما يداهمك عند ما ترى اول وهلة صاحبة تلك الصفات ؟ اما يستفزك الشوق ؟ فتقف على قدميك بقوة غريبة مدهشة وترى قوة كهربائية تجذبك نحو تلك المحاسن المسبوكة في تلك الذات اللطيفة وتنتظر منها امراً كي تفدي نفسك دونها ؟ الست بعد هذا الميل الغريب تتقدم وتساجلها بالكلام فتعرض عليها كل مايهمها. فاذا كان جوابها : (تنح عني واتركني وشاني) وماذا يعنيك من امرى ؟ فماذا يكون اثره عليك ؟ ماذا يا ترى تكون احساساتك الاولى ؟ اظن انك تفقد نصفها واما النصف الاخر فيبقيك جالساً على قدميك امامها نصف ساعة وانت تتأمل في وجهها وتراه عبوسا يضطرب من اقل كلمة وتظهر عليه هيئة الغضب في كل لحظة، تراها مفتخرة بنفسها متعجرفة خفيفة العقل متلاعبة جاهلة ...

واذا اوردت لها نوادر مضحكة وحكايات عقلية ترى وجهها (على حالته الاولى وفي سمته الاول) لا يتغير عما هو عليه فكأنه قطعة دم جامدة لا تتحرك او صخرة صماء . واذا ابتدأت ان تخبرك، ترى في اخبارها فتوراً او برودة بل عدم تعقل لا بل قلة ادب . فماذا يكون من احساساتك عند ما تشاهد ذلك ؟ وما تظن بهذا الجمال الباهر العقول ؟ واظنك تفضل خروجها من رياضك على مكثها وانت تنظر اليها فتشاهد بعد زمان عكس ماشعرت به اولا ومع ذلك فجمالها باق فما الذي غير حالك وجرح عواطفك ؟ اظن الذي جرحك كونها خالية من الفضائل عارية من التربية .

صور نفسك مرة ثانية بهذه الرياض وتلك الازاهير وهاتيك المياه والبساتين وقد وافتك فتاة اخرى الا انها بمنظر ممتاز وتقدمت اليك بوجه هش بش خاضعة رأسها خافضة عينيها خجلا وحياء وكلمتك بصوت خافت وحديث مملوء من الرقة والعذوبة نظيفة الجسد والثياب لطيفة الحركات فصيحة المنطق موزونة الكلام ان سألتها اجابتك جواباً يشف عن المعاني الرقيقة فماذا تكون احساساتك عند ذلك ؟ لا اشك ان تلك الشواعر المضطربة والعواطف

المجروحة في المرة الاولى عند نظرك الفتاة الاولى تتحول وتنتقل الى هذه الثانية وتسامرها وتساجلها بالكلام المليح وتحول نظرك عن تلك الاولى .

فنتيجة من ذلك ان الجمال الحقيقي هو خلاف الجمال المعروف والجمال الحقيقي هو اعتبار الهيئة الباطنة لا جمال الصورة فالوجه البشوش اللطيف فيه كل الجمال وهو الذي يحبه المحبون فالبشاشة واللطف يدلان غالباً على قلب سليم خالٍ من الغش والسوء .

اما الوجه العبوس المضطرب فيدل على قلب مملوء من الحقد والاعوجاج لا يخامره سوى الافكار المحزنة ، فمهما كانت تقاطيع الوجه جميلة فليس لها اعتبار اذا كانت خالية من الوداعة والبشاشة .

ان ذوات الجمال الصوري جاهلات متهجرفات قد عودهن الاباء منذ نعومة اظفارهن التربية الفاسدة والاخلاق الذميمة وحب الذات حتى ان اغلبهن يخفين على جمالهن فلا يلتفتن الى علم ولا فضل ولا ادب ولا شغل فيبقين جاهلات اميات مغفلات . وقصارى الامر تهتف بلسان الدين وتنطق بلهجة صادقة ونقول ان من الواجب انتباه الابوين الى تربية اولادهما تربية حسنة وان يحترزا من وقوع ابنائهما في حبالة الجهل المظلم وان يعوداهم طهارة الوجدان وصدق اللسان والافعال الحميدة فانها هي الجمال الحقيقي وان لا يقفا عقبات في سبيل ما يصلحهم كما نشاهد مثل ذلك في اباء هذا العهد . وعسى ان لا يدوم هذا المانع حباً للدين والوطن والخير العام :

النجف محمد باقر الشبيبي

الاشتيار اوجمع العسل في ديار الكرد

La récolte du miel au Kurdistan.

١ توطئة

بلاد كثرت خيراتها ، واشتهرت بخصبها ، ووفرت حاصلاتها ، وامتازت عن غيرها بكثير من جلائل الامور الزراعية ، حتى باتت البلاد الراقية تحسدها على ما منحها الله من جودة التربة وحسن المناخ ، وغزارة المياه ، وما اودعته فيها الطبيعة من الاسرار ، ولكن اين الرجال العاملون الذين وهبهم الله شعوراً